التكرار اللفظي في الآية القرآنية وأثره في التماسك النصّيّ

Verbal repetition in the Qur'anic verse and its impact on scriptural coherence

د. عبد العزيز تواتي *

تاريخ الاستلام: 20-07-2019 تاريخ القبـــول: 18-03-2020

الملخص:

التّكرار اللفظي ظاهرة تُعنى بعلاقات التماسك النصي، وهي تقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي، مما يحقق ترابطه وتماسكه، حيث أن العناصر المكررة تحافظ على بنية النص، وتغذي الجانب البلاغي والدلالي والتداولي فيه. والحقّ أنّ التكرار اللفظي ظاهرة متميّزة، واسعة المفهوم، كثيرة الأنواع والأنماط، فهو قد يكون بإعادة العنصر المعجمي بلفظه، أو بشبه لفظه أو بمرادفه، أو بمدلوله، أو بجزء من بنيته، ونحو ذلك.

تدور نقطة البحث حول التكرار اللفظي في القرآن الكريم، والذي قد يكون كلمة أو جملة في الآية الكريمة باعتبارها وحدة نصّيّة مستقلة، بحيث يؤدي التكرار فيها وظيفة ملموسة في تماسك النص وترابطه، مع رصد آراء التراثيين من العلماء المتخصصين في البلاغة والتفسير وعلوم القرآن.

كلمات مفتاحيّة: تكرار؛ لفظ؛ آية؛ تماسك؛ نص؛ قرآن.

* جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، البريد الالكتروني: touatiabdelaziz04@gmail.com (المؤلف المرسل)

المنارة للاستشارات

Abstract:

Verbal repetition is a linguistic phenomenon that builds a network of relationships within the textual achievement, thus achieving its coherence and cohesion. The refined elements preserve the structure of the text and nourish the rhetorical, semantic and deliberative aspects of it. This phenomenon is many types and patterns, the repetition may be the return of the lexical element by word, or semi-word, or its meaning, or part of its structure, etc.

The research deals with the phenomenon of verbal repetition in the Quran, which may be a word or sentence in the verse as an independent text unit, in which repetition plays a concrete function in the cohesion of the text and its interrelationships.

Keywords: Repetition; pronunciation; verse; coherence; text; Koran

1. المقدّمة :

لقد عكف علماء التراث البلاغي واللغوي على دراسة القرآن الكريم واستجلاء كنوزه وأسراره، حتى يلمسوا أكثر وأكثر ذلك الإعجاز الذي يتّسم به هذا الكتاب الخالد، ومن هؤلاء العلماء طائفة ركّزت على ما يُعرف بعلم المناسبات الذي يبحث في سرّ العلاقات بين أجزاء القرآن من سور وآيات، وبين أجزاء الآية الواحدة التي تتمثل في ألفاظها وجملها المكوّنة لها، ومن تلك العلاقات الرابطة ظاهرة تُدعى التكرار اللفظي، وهي مُدرجة كمفهوم مستقل من مفاهيم تنتظم في علم حديث النشأة هو علم اللسانيات النصّيّة.

تجيء هذه الدراسة لتجيب عن هذه الإشكالية: إلى أيّ حدّ تقوم ظاهرة التكرار اللفظي بدورها في بناء النص القرآني وتماسكه؟ فنخمّن أن هذه الظاهرة تسهم مع أدوات أخرى مساهمة فعالة في تلاحم النص القرآني

المنارة للاستشارات

وتماسكه، ولا سيما الآية الواحدة؛ باعتبارها وحدة قرآنية متماسكة، وظاهرة التكرار هي ظاهرة ملموسة في القرآن، فلا بد أن ورودها فيه له ما يبرره بالنظر إلى بلاغة النص وتماسكه وترابطه، وهذه الدراسة تنتهج خطة تتمثل في محوريْن: أولهما يتضمن التعريف بالظاهرة عموما، وبالأخص التكرار اللفظي وبيان أهميته، وما ذكره بعض العلماء من ذلك، والمحور الثاني يتناول أثر التكرار اللفظي في تماسك الآية القرآنية، وهو ينقسم إلى تكرار لفظي قريب وآخر بعيد، لنخلص في الأخير إلى أهم النتائج المستخلصة من الدراسة، والمجيبة عن إشكالية البحث.

2. التعريف بالتكرار وبيان أهمّيّته:

2ـ1 التكرار لغةً: جاء في لسان العرب: « كرّر الشيء وكَرْكَرَه: أعاده مرة بعد أخرى»[1]، والتكرار مصدر (كرّر)، فـ « (كرّر) الشيء تكريرا وتكرارا: أعاده مرة بعد أخرى»[2]، وتكرار اللفظ إعادته في الكلام مرة ثانية.

2ـ 2 التكرار في اصطلاح علماء النّصّ: يُعدّ التكرار أداة مهمة من أدوات الاتساق المعجميّ، «إذ يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما»[3]، ويقول الدكتور جميل عبد المجيد: «والمقصود بالتكرار هنا تكرار لفظتين درجهما واحد، فمثل هذا التكرار يعد ضربا من ضروب الإحالة إلى سابق **Anaphora**؛ بمعنى أن الثاني منهما يحيل إلى الأول؛ ومن ثم يحدث السبك بينهما، وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار»[4]، فارتباط التكرار إذن بمفهوم الإحالة هو ما يعطي

المنارة للاستشارات

للتكرار أهمّيّته في الدراسات النصية، من حيث ما تؤديه الإحالة من التماسك النصّيّ الواضح.

والتكرار يكون على درجات، أعلاها أن يتكرر العنصر المعجميّ نفسه لفظا ومعنى، وسواء أكان هذا التكرار محضا أم جزئيا، فمن أمثلة التكرار المحض قولنا: "شرعت في الصعود إلى القمة، الصعود سهل للغاية"، إذ تكرر العنصر "الصعود" لفظا ومعنى، ودون إحداث تغيير في الصيغة أو الوزن، ومن أمثلة التكرار الجزئي قولنا: "شرعت في الصعود إلى القمة، الصاعدون كثيرون جدا"، فقد تكرر العنصر المعجمي هنا ولكن مع تغيير في بناء اللفظ، من المصدر إلى اسم الفاعل.

وقد يحدث التكرار بذكر المرادف، كقولنا: "شرعت في الصعود إلى القمة، التسلق سهل للغاية"، فالتكرار هنا حدث للمعنى وليس للفظ.

كما قد يكون التكرار بالاسم الشامل، وكمثال عليه قولنا: "شرعت في الصعود إلى القمة، العمل سهل للغاية"، فاسم "العمل" شامل لعدة أسماء منها اسم "الصعود".

ويكون أيضا بكلمة عامة، كلفظة "شيء"، في قولنا: "شرعت في الصعود إلى القمة، الشيء سهل للغاية"، فهذه اللفظة فيها من العموم ما يستغرق الاسم الشامل وغيره.

وهذه الدرجات المذكورة تشكّل سلما وضّحه هاليداي ورقية حسن، وهو سلم يأتي في أعلاه إعادة العنصر المعجمي نفسه، بلفظه ومعناه، ثم إعادته بمرادفه أو شبه مرادفه، ثم إعادته باسم شامل له، ثم إعادته بكلمة عامة كما هو موضح في الأمثلة السابقة[5].

المنارة للاستشارات

2ـ 3 التكرار اللفظي: هو أعلى درجات التكرار السابقة الذكر، ويُعدّ مظهرا من مظاهر تماسك النصوص، من خلال ما يقوم به من تأسيس علاقات بين الجمل المتقاربة أو المتباعدة.

وقد حظي التكرار اللفظي باهتمام علماء البلاغة، وعناية علماء البديع به على وجه الخصوص، من خلال تعريفه وذكر أقسامه وأنواعه، والوقوف على شواهده الأدبية واللغوية، ومن جملة ما عرّفوه به قولهم بأن التكرار اللفظي هو أن « يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض»[6].

ومن شواهد التكرار اللفظي القرآنية قول الله تعالى في أوليائه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[الواقعة 10 11]، وغرض هذا التكرار المدح.

وقوله أيضا: ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦﴾[المؤمنون 36]، وغرضه الاستبعاد.

وقوله أيضا: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢﴾[القارعة 01 02]، وغرضه التهويل.

كما يلاحَظُ على بعض علماء البلاغة تفضيلهم لما يُسمّى "الترديد" على التكرار، والترديد هو في حقيقته نوع من أنواع التكرار، إلا أنه يزيد على كونه تكرارا ميزةً أخرى، وهي تعلّق اللفظ المكرر بمعنى مختلف عما تعلق به اللفظ الأول[7]، ويوضّح عالم البديع أبو حجة الحموي (ت837هـ) الفرق بين الترديد والتكرار بقوله: «أن اللفظة التي تتكرر في البيت ولا تفيد معنى زائدا بل الثانية عين الأولى هي التكرار واللفظة التي يرددها الناظم في بيته تفيد معنى غير

المنارة للاستشارات

معنى الأولى هي الترديد وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية يتميز بها على التكرار ويتحلى بشعارها»[8].

يُضاف إلى أنواع التكرار نوعٌ أخر يُسمّى بـ "تشابه الأطراف اللفظيّ"، وهو أن يبدأ الناثر أو الشاعر بلفظة جملةً تسبقها جملة أخرى منتهية بنفس اللفظة[9].

ومن أمثلة هذا النوع قول ليلى الأخيلية في الحجاج بن يوسف الثقفي (الطويل):

إذا نـــزل الحجـــاج أرضـــا مريضـــة تتبّـــع أقصـــى دائهـــا فشـــفاها
شـفاها مـن الـداء العضـال الـذي بهـا غـــلام إذا هـــزّ القنـــاة ســـقاها
ســـقاها فروّاهـــا بشـــرب ســـجاله دمـــاء رجـــال يحلبـــون صـــراها

وهـذا التشـابه في الأطـراف مـن أشـد مـا يقـوّي العلاقـة بـين الجمـل في النثـر والأبيات في الشعر ويربط بينها، ويحكم التماسك بين أطرافها، فهو نوع من التكرار الذي يُحدث موسيقى في الكلام ويجذب الانتباه إليه.

وبالرغم من أن بعض علماء البلاغة يرى وجوب الفصل بين هذه المصطلحات: التكرار، الترديد، تشابه الأطراف اللفظي، ويفرّق بينها، ويذكر ما يتعلق بكل منها في باب خاص به، إلا أن الذي يهمّ هنا ـ ومن منظور لسانيات النص ـ هو ما يجمع تلك المفاهيم من إعادة للفظ وتكراره؛ ليُحدث بذلك أثرا في ترابط جمل النّصّ وتماسك أجزائه.

2ـ 4 أهمية التكرار اللفظيّ: يلخّص لنا الإمام بدر الدين الزركشي (ت794هـ) أهمّيّة التكرار عند العرب وفي القرآن الكريم بقوله: «وقد غلط مَن أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنا أنه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض؛ وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا

المنارة للاستشارات

أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كرّرته توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسّم، عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة. وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد، لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع »[10]

فالإنسان في كلامه يحتاج تارة إلى التأكيد، وتارة إلى التقرير، وكما قيل: فالكلام إذا تكرر تقرر، وأحيانا يريد الإنسان زيادة التنبيه، فيكرر مثلا نداءه لمن يخاطبه، وقد تحصل له إرادة تعظيم شيء وتهويله، أو التعجّب منه ونحو ذلك، فيكرر بعض كلامه ليحصل له ذلك الغرض، ومن هنا يكتسي التكرار أهمّيّته في الكلام.

3ـ التكرار اللفظي في الآية القرآنية وأثره في تماسكها:

يمكن تقسيم التكرار اللفظي باعتبار الإسهام في تماسك النص إلى تكرار قريب وتكرار بعيد، ونقصد بذلك مقدار الكلمات الواردة بين الكلمتين المكرّرتيْن، فكلما نقص عدد هذه الكلمات كلما اشتدّ التماسك، ومثل ذلك كمثل البناء الذي تتقارب أعمدته، فكلما تقاربت ازداد تماسك البناء، وكلما تباعدت نقص التماسك.

3ـ 1 التكرار اللفظي القريب: من أمثلة التكرارالقريب اللفظي قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾[المؤمنون 36]، فتكررت كلمة "هيهات" دون

المنارة للاستشارات

أن يفصل بين المكرّرتين فاصل، يقول المفسّر أبو السعود (ت951هـ) بشأن هذا التكرار: «(هيهات هيهات) تكرير لتأكيد البعد أي بعد الوقوع أو الصحة (لما توعدون)»[11]، فتكرار الكلمة "هيهات" يفيد تأكيد استبعاد المشركين لوقوع ما يوعدون به، فهذه الدلالة المستوحاة من التكرار تتعلق بالمعنى الذي ورد بعده، مما يشير إلى رابطة دلالية متينة بين التكرار وسائر دلالات الآية الكريمة.

ومن أمثلته ما يظهر مع تشابه الأطراف اللفظية، إذ تتكرر الكلمة مباشرة لتتعلق بمعنى جديد، كما في قوله تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾[النور 35]، فتكررت كلمة "مصباح" وكلمة "الزجاجة"؛ ليتشابه طرفا كل جملتين وقعتا فيهما وترابطت الجمل جميعا وتماسكت، بسبب إعادة لفظيْ: المصباح، والزجاجة.

إن اللفظة "المصباح" المعرّفة في الآية تحيل إلى سابقتها المكّررة، وقد أُظهرت الثانية في مقام الإضمار إظهارا لتعظيمها، وتنويها بذكرها، وكذلك لفظة "الزجاجة" المكرّرة، فهاتان اللفظتان من أعظم أركان التمثيل في الآية الكريمة[12]، وتلك الإحالة التي أفادها التكرار هي أساس الرابطة بين الجمل.

ومن الأمثلة أيضا عن التكرار الناجم عن تشابه الأطراف اللفظي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ

المنارة للاستشارات

رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام 124]، فإن للآية جزءين، تشابه طرفاهما في لفظ الجلالة: (الله)، فكان التكرار رابطا قويا بين الجزءين.

يدقق الإمام البقاعي (ت885هـ) في السّرّ في تكرار لفظ الجلالة بين طرفي الجملتيْن فيقول: «ولما ذكر اسم الجلالة إيذانا بعظيم ما اجترؤوا عليه لعماهم ـ بما طمس على أنوار قلوبهم من ظلمات الهوى ـ عما للرسل من الجلال الذي يخضع له شوامخ الأنوف، أعادها أيضا تهويلا للأمر وتنبيها على ما هناك من عظيم القدر»[13]، فتكرار لفظ الجلالة إذن جاء لتهويل مطلبهم والتنبيه على عظمة الرسالة التي لم يكونوا بأهل لها.

ومن الأمثلة أيضا حيث يكون اللفظ المكرر شبه جملة قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[التوبة 108]، فينقسم الكلام إلى جزءين تشابه طرفاهما من خلال لفظ (فيه): جزء فيه كلام عن مسجد أسّس على التقوى وعن استحقاقه للقيام والصلاة فيه، وجزء فيه مدحٌ لأهله الذين يصلون فيه، وربط تكرار (فيه) بين هذين الجزءين ربطا وثيقا.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر 20]، فقد تكرر اللفظ "أصحاب الجنة" فربط بين الجملتين: "لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة" و"أصحاب الجنة هم الفائزون"، إذ يحيل اللفظ المكرّر الثاني إلى سابقه فتقع الرابطة، والجملة الثانية هي «استئناف مبيّن لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أي: هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه»[14].

المنارة للاستشارات

ومن تكرار الجملة القريب قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾[التوبة 69]، فتكررت الجملة (استمتع بخلاق)، والخلاق هو النصيب، وأما الفائدة من التكرار فيقول بشأنها الزمخشري (ت538هـ): «فإن قلت: أي فائدة في قوله: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ﴾؟ وقوله: ﴿كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾؟ مغن عنه كما أغنى قوله: ﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا؟ قلتُ: فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله»[15]، ويُفهم من هذا أن فائدة التكرار تحقير أفعال المخاطبين وتقبيح انشغالهم بالدنيا على حساب الآخرة كما يلاحَظ إحالة الجمل المكرّرة بعضها إلى بعض؛ لتكتمل الصورة، ويتمّ نسيج النّصّ على أكمل وجه.

3ـ 2 التكرار اللفظي البعيد: يظهر التماسك أكثر عند وقوع التكرار البعيد، وذلك إذا طال الكلام بين اللفظيْن المكرّرين، فإنه «إذا طال الكلام وخُشيَ تناسي الأول أعيد ثانيا تطرية له، وتجديدا لعهده»[16]، يقول الألوسي مؤكدا على هذا الأسلوب عند العرب فيقول: «العرب متى بنت أول كلامها على مقصد ثم اعترضها مقصد آخر وأرادت الرجوع إلى الأول كررت ذكره إما بتلك

المنارة للاستشارات

العبارة أو بقريب منها، وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك وطريق معبّد»[17].

ـ ومن الشواهد القرآنية على التكرار اللفظي البعيد قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران 188]، فقد أعاد لفظ "لا تحسبنّ) بعد أن طال الكلام في وصف الغائبين الذين يفرحون بما أتوا، فتجدّد الكلام وارتبط بعضه ببعض بعد أن كاد يُنسى.

يقول أبو إسحاق الزّجّاج (ت311هـ) في مثل هذا التكرار: «ووقعت ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ مكررة لطول القصة. والعرب تُعيدُ إذا طالت القصة في حسبت وما أشبهها، إعلاما أن الذي جرى متصل بالأول، وتوكيدا للأول، فنقول: لا تظنّنّ زيدا إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا ـ فلا تظنّنّه صادقا، تعيد ـ فلا تظنّنّ توكيدا ـ ولو قلت لا تظن زيدا إذا جاءك وحدثك بكذا وكذا صادقا جاز ولكن التكرار أوكد وأوضح للقصة»[18]، فزيادةً على ما يؤديه التكرار من التوكيد فهو هنا تنبيه وتذكير وإعلامٌ باتصال الكلام بعضه ببعض.

إن التكرار اللفظي من هذا القبيل من شأنه أن يُحكم الكلام بعضه ببعض، ويشدّ بنيانه، ويقوي وشائجه، ويربط أوله بآخره، وهو من أعظم ما يسهم في تماسك الآية القرآنية واتصال أجزائها، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة 253]، الجملة المكررة (ولو شاء الله ما اقتتل) رابطة متينة بين بداية هذا الجزء من الآية

المنارة للاستشارات

ونهايته، فإنه لما كانت الحاجة إلى إظهار فاعل (اقتتل) ووصفه والتوسع فيه كان ذلك في أول الكلام حتى طال الوصف، ثم كانت هناك حاجة أخرى لإعادة الجملة بغية ربطها بمعنى آخر، مع الاستغناء عن إظهار الفاعل والاستعاضة عنه بضمير عائد على فاعل تمّ وصفه من قبل والاستفاضة فيه.

وفي هذا المثال السابق يذهب الزمخشري إلى أن التكرار للتوكيد، قال: «كرره للتوكيد»[19]، ووافقه على ذلك جمع من المفسرين كالبغوي (ت516هـ)[20]، والرازي (ت604هـ)[21]، ومن المحدثين ابن عاشور[22]، غير أن المفسر أبا السعود نفى أن يكون ذلك للتأكيد، حيث قال: «التكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجب [كذا] لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم»[23].

كما نقل ذلك عنه الألوسي في روح المعاني، وزاد عليه توضيحا بقوله: «فإنه لما صدر الكلام بأن اقتتالهم كان على وفق المشيئة ثم لما طال الكلام وأريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الأمر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهي نافذة في كل فعل وهو المعبر عنه في قوله تعالى: (ولكن الله يفعل ما يريد) طرأ ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال ليتلوه عموم تعلق المشيئة ليتناسب الكلام ويقرن كل بشكله وهذا سر ينشرح لبيانه الصدر ويرتاح به السر»[24]، وهو ما يُفهم منه أن التكرار لغرض التعلق بمعنى الجملة التي بعده، والتي تفيد التعميم.

المنارة للاستشارات

ـ ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل 110] فتكرّر التركيب (إن ربّك)، لطول العهد به. يقول ابن عاشور رحمه الله: «وأعيد "إنّ ربك" ثانيا لطول الفصل بين اسم (إن) وخبرها المقترن بلام الابتداء مع إفادة التأكيد اللفظي »[25]، فقد فُصل بين اللفظيْن المكرّرين بجملة من الأفعال: هاجروا، فُتنوا، جاهدوا، صبروا، وكل هذه الأفعال داخلة في صلة الموصول الذي اعترض بين اسم (إنّ) وخبرها، فلما كان هذا الفصل طويلا كان لا بدّ لتمام الأسلوب وإزالة الغموض من إعادة (إن ربك).

ومع ما تفيده أدوات الاتساق في تماسك هذه الآية، كالضمير المتصل بالظرف (من بعدها) المحيل إحالة قبلية داخلية إلى "الفتنة" المذكورة أول الآية فإن تكرار (إن ربك) يحيل بدوره إلى اللفظ الذي من جنسه، والمذكور أول الآية، ليشكّل التكرار بذلك رباطا وثيقا بين مطلع الآية وختامها، ويسهم في تلاحم الأجزاء واتّساقها.

ـ ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[البقرة 89]، فتكرر اللفظ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾، «لطول العهد بتوسط الجملة الحالية»[26] التي هي: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. قال الإمام القرطبي (ت671هـ): «وأعيدت لما الثانية لطول الكلام. ويفيد ذلك تقريرا للذنب، وتأكيدا له»[27].

المنارة للاستشارات

وقد أحسن ابن عاشور في توضيح فائدة التكرار اللفظي فيما يُسهم به من التماسك النّصّيّ، إذ قال: «ولما الثانية تتنازع مع لما الأولى الجواب وهو قوله "كفروا به" فكان موقع جملة وكانوا إلخ بالنسبة إلى كون الكتاب مصدقا موقع الحال لأن الاستنصار به أو التبشير به يناسب اعتقاد كونه "مصدقا لما معهم" وموقعها بالنسبة إلى كون الكتاب والرسول معروفيْن لهم بالأمارات والدلائل موقع المنشأ من المتفرع عنه مع أن مفاد جملة " لما جاءهم كتاب من عند الله" إلخ وجملة "لما جاءهم ما عرفوا" إلخ واحد وإعادة لما في الجملة الثانية دون أن يقول وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فجاءهم ما عرفوا إلخ قصد إظهار اتحاد مفاد الجملتين المفتتحتيْن بلما وزيادة الربط بين المعنييْن حيث انفصل بالجملة الحالية فحصل بذلك نظم عجيب وإيجاز بديع وطريقة تكرار العامل مع كون المعمول واحدا طريقة عربية فصحى»[28]، وهكذا يتماسك الجزءان المشكّلان للآية تماسكا متينا.

ــ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف 04]، فتكرر الفعل والفاعل (رأيتُ) في آخر الآية، فبالتكرار ووجود ضمير الغائب في (رأيتهم) العائد على المذكورين من الكواكب والشمس والقمر يكتمل التماسك، وتتقوّى الوشائج.

يقول الإمام البقاعي (ت885هـ): «ولما تشوفت النفس إلى الحال التي رآهم عليها، فكان كأنه قيل: على أي حال؟ وكانت الرؤيا باطن البصر الذي هو باطن النظر، فكان التعبير بها للإشارة إلى غرابة هذا الأمر، زاد في الإشارة إلى ذلك بإعادة الفعل، وألحقه ضمير العقلاء لتكون دلالته على كل من عجيب أمر الرؤيا ومن فعل المرئي الذي لا يعقل فعلَ العقلاء من وجهين فقيل: (رأيتهم

المنارة للاستشارات

لي)»[29]، ووفق هذا الكلام فاللفظ (رأيتُ) الأول يشير إلى غرابة الأمر أو غرابة الرؤيا، ثم يأتي مكرَّرُه فيزيد في الإشارة إلى نفس الأمر، وبالتالي فـ (رأيتُ) الثاني يحيل إلى الأول إحالة قبلية، مما يحقّق تماسك طرفي الآية.

ـ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون 35]، فتكرّرت أنّ مع اسمها في آخر الآية، وذلك لطول العهد به، وهذا الاعتراض بالشرط ﴿إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ فيه من لطيف الأسلوب والبلاغة ما فيه، فاستبعاد خبر "أنّ" الذي هو (مخرجون) والإتيان به آخر الآية يشبه استبعاد القوم لبعثهم من جديد بعد موتهم، فـ «(أنكم) تأكيد للأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى (مخرجون)»[30].

4ـ خاتمة:

في ختام هذا البحث الذي يتناول موضوع التكرار اللفظي وما يسهم به في تماسك الآية القرآنية وبناء شبكة العلاقات بين أجزائها يمكن الوصول إلى جملة من النتائج هي:

ـ يُسهم التكرار اللفظي في تتابع النّصّ وترابطه واستمراريته.

ـ إعادة اللفظ يمنح النّصّ القدرة على إنتاج صور لغوية جديدة، بإحالة أحد اللفظين إلى الآخر والإسهام في فهمه أو التأكيد عليه، وأحيانا تعلقه بمعنى جديد.

ـ يظهر التماسك في التكرار البعيد أكثر منه في التكرار القريب، ذلك لأنه يتيح ارتباط الجمل الطويلة بعضها ببعض.

المنارة للاستشارات

ــ لا تخلو الآيات الكريمة باعتبارها نصوصا قرآنية من التكرار اللفظي كوسيلة من وسائل تماسكها.

ــ تناول علماء التراث من لغويين وبلاغيين ومفسرين موضوعَ التكرار بكثير من الاهتمام، نظرا لوجوده في القرآن الكريم وكونه من أساليب العرب في كلامها، فدرسوه وصنّفوه وفهموا أسراره.

5. قائمة المراجع:

-القرآن الكريم، برواية حفص.

ـ الألوسي (محمود شكري)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دون ت).

ـ البغوي (الحسين بن مسعود) ، معالم التنزيل (تفسير البغوي)، دار طيبة الرياض، 1412هـ.

ـ البقاعي (برهان الدين إبراهيم بن عمر)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دت).

ـ الحموي (أبو بكر بن حجة)، خزانة الأدب وغاية الأرب، (دون ت).

ـ خطابي (محمد)، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.

ـ الرازي (فخر الدين محمد بن عمر)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.

المنارة للاستشارات

ـ الزّجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري)، معاني القرآن وإعرابه تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط01، 1408هـ/1988م.

ـ الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (دت).

ـ الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ/2009م.

ـ أبو السعود (محمد بن محمد العمادي)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دون ت).

ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط01، 1429هـ/2008م.

ـ عبد المجيد (جميل) ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 1998م.

ـ ابن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، 1984م.

ـ القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1427هـ/2006م.

ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ط4، 1425هـ/2004م.

المنارة للاستشارات

ـ ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر بيروت، (دون ت).

ـ الهاشمي (أحمد)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا/بيروت، (دون ت).

6. هوامش:

(1) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ت)، مادة (كرر)، مج05، ص135.

(2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4 1425هـ/2004م، مادة (كرر)، ص782.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي ط1، 1991م، ص24.

(4) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 1998م، ص79.

(5) يُنظر: المرجع نفسه، ص80 وما بعدها.

(6) أبو حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، (دت)، ص205.

(7) يُنظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط01، 1429هـ/2008م، ص553.

(8) خزانة الأدب وغاية الأرب، ص204.

(9) يُنظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية صيدا/بيروت، (د ت)، ص321.

(10) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ت)، ج03، ص09.

(11) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت) ج06، ص134.

المنارة للاستشارات

(12) يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ت) مج18، ص236.

(13) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، (دت)، ج07، ص257.

(14) محمود شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ج28، ص61.

(15) أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل دار المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ/2009م، ص441.

(16) البرهان في علوم القرآن، ج03، ص14.

(17) روح المعاني، ج03، ص04.

(18) أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، ط01، 1408هـ/1988م، ج01، ص498.

(19) الكشاف، ص144.

(20) يُنظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، دار طيبة، الرياض، 1412هـ، مج01، ص309.

(21) يُنظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م ج06، ص221.

(22) يُنظر: التحرير والتنوير، ج03، ص13.

(23) تفسير أبي السعود، ج01، ص247.

(24) روح المعاني، ج03، ص04.

(25) التحرير والتنوير، ج14، ص300.

(26) تفسير أبي السعود، ج01، ص128.

(27) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ج02، ص249.

(28) التحرير والتنوير، ج01، ص602.

(29) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، (دت)، ج04، ص16.

(30) تفسير أبي السعود، ج06، ص134.

المنارة للاستشارات

المنارة للاستشارات